Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تمهيد

في بنية الرواية عامة وبُنَى رواياتنا خاصة

هذا تمهيد أنشأته بعد فراغي من كتابة الدراسات التي يضمّها هذا الكتاب، فهو إذن متأخر زماناً، متقدّم مكاناً. وقد كتبته ليكون مدخلا لقراءة هذه الأعمال، لا بديلاً عن قراءتها. وليس من مقتضيات المدخل أن يُلخص كل الأفكار، أو يستجمع كل سمات الروايات الأربع عشرة المدروسة ها هنا. ولهذا فلن أتعب قارئي في متابعة جميع التفصيلات المتصلة بالنقد الروائي، كما لن أستبقه فألخص له ما سوف يلقاه مفصّلاً في الدراسات اللاحقة.

ويكفيني هنا أن أعالج فكرتين كبيرتين بإيجاز، أولاهما تتصل بالفن الروائي، والثانية تتصل ببعض القواسم المشتركة، أو الصفات الفارقة، ما بين الروايات المدروسة.

فمن المعروف أن هذا الفن الأدبي (الرواية) فنٌّ حديث نسبياً، لم يمْضِ على استوائه على سوقه، ناضجا، أكثر من ثلاثة قرون في العالم الغربي، ولا أكثر من قرن ونصف قرن في عالمنا العربي. بيْد أن هذا الجنس الأدبي تخلّق حين تخلق جنسا مرنا منداح الأبعاد، قادرا على الهضم والتمثل والإفادة من فنون أخرى. وقد وصفه (نجيب محفوظ) بالفن الذي يُوفق ما بين شغف الإنسان الحديث بالحقائق وحنينه الدائم إلى الخيال... وما بين غنى الحقيقة وجموح الخيال اجتهدت الرواية في أن تحتقب صفات الأجناس الأدبية الأخرى، وأن تفيد من فنون مختلفة غير الأدب، فالرواية الأمريكية مثلاً تتبادل مع السينما طرقا مختلفة، والرواية الجديدة في أوربا تقتبس من الموسيقى طرقا في التأليف. وبعض الروايات المعاصرة يفيد من تقنيات المسرح، ومن مزايا القصة القصيرة وشؤونها، ومن وهج الشعر ولغته المشحونة وصوره المثيرة ومجازاته الرائعة. وتستطيع الرواية أن تهضم وتستثمر عناصر متنافرة